بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

النحو العربى لا يلقى من الدارسين والمثقفين الذين اجتازوا مراحل الدراسة إقبالا عليه ، واحتفاء به ، ولا يظفر من هؤلاء وهؤلاء بما تظفر به ألوان الدراسة العلمية والأدبية من العناية والاهتمام والولاء ، إلا طائفة قليلة ، ممن تضطرهم الدراسات التخصصية فى بعض الكليات إلى أن يعانوا النحو ، على أنه مادة منوطة بهم ، مفروضة عليهم ، فيعالجوا دراسته فى مرارة واستكراه ، يحملون عليه حملا ، كأنهم حيال شر لا بد منه .

فلماذا يضيق الدارسون به ، ولماذا يبغضون حصته ، ويملون كتابه ، ويستثقلون مسائله وقواعده ، ويرون فيه مادة عصية عنيدة ، لا يسلس قيادها ، ولا تصل بهم إلى الغايات المرتبطة بها ؟

عناء فى الدراسة من ناحية ، وضآلة أثر هذه الدراسة من ناحية أخرى ، هذان هما الجانبان اللذان تشكل منهما أزمة النحو العربى فى المجال الدراسى ، وفى الميدان العملى ، فما مرد هذه الأزمة ؟

قد يتجه التفكير السريع إلى إلقاء التبعة على طبيعة هذه المادة نفسها ، وقد يتجه إلى اتهام المناهج بالجفاف والتعقيد ، أو اتهام الكتب بالعقم والقصور ، وقد يرى من يتصدى لدراسة هذه الظاهرة أنها ترجع إلى أساليب التدريس ، وقد يميل الرأى أخيراً إلى أن هذه النواحى جميعها مسئولة عن هذه الأزمة ، بل ربما كان بجانبها نواح أخرى ، بعيدة عن الميدان الدراسى ، ولكن لها بعض المشاركة .

إذا حاولنا تحليل هذه النواحى التى تضطرب بينها الآراء فمن الإنصاف أن نقرر أولا أن النحو نوعان : نحو وظيفى ، ونحو تخصصى ، ونقصد بالنحو الوظيفى مجموعة القواعد التى تؤدى الوظيفة الأساسية للنحو ، وهى ضبط الكلمات ، ونظام تأليف

الجمل ؛ ليسلم اللسان من الخطأ فى النطق ، ويسلم القلم من الخطأ فى الكتابة ، أما النحو التخصصى فهو ما يتجاوز ذلك من المسائل المتشعبة ، والبحوث الدقيقة ، التى حفلت بها الكتب الواسعة .

ومن المسلم به أن القواعد النحوية التى تنهض بأداء الوظيفة الأساسية للنحو محدودة محكمة ، وليس فيها تشابك يربك الدارس ، ولا تعقيد ينال من عزيمته ، وهى قواعد لا تثقل الذهن ، ولا ترهق الحافظة ، ولعل مما يزيدها يسراً أن فيها رياضة ذهنية ، وفيها — كذلك — إثارة للملاحظة ، وإيقاظ للملكات المتصلة بالتعليل والموازنة والاستنباط ، يضاف إلى هذا أنها تعالج الكلام العربى ، تعالج اللغة القومية ، التى هى أداتنا فى مختلف شئوننا الحيوية ، وإذن فعوامل النجاح وفرص التطبيق والممارسة موفورة متجددة ، ومن شأن هذا كله أن يوسع مجال الفائدة التى نجنيها من الدراسة النحوية ، ويؤصلها رويداً رويداً فى نفس الدارس ؛ حتى تئول فى نهاية الأمر إلى نوع من المهارة البشرية ، التى يكسبها الإنسان فيما يكسبه بالتجارب والممارسة العملية ، كالقراءة المطلقة ، وقيادة السيارة ، والعزف على آلة موسيقية ، وإرسال الإشارات البرقية .

وحسبك أن تعلم أن فهم القواعد النحوية الوظيفية ، وممارسة التطبيق عليها ، يغنى عن تكرار الرجوع إليها فى الكتب للاستعادة والتذكر ، أما غير النحو من العلوم التى يحتاج فى تحصيلها إلى دوام الاطلاع ، وحشد المعلومات ، وشحن الذاكرة والحافظة ، فإن دونها كداً وإرهاقاً ، ومع هذا الكد والإرهاق لا يطول ثباتها فى الأذهان ، بل كثيراً ما تعدو عليها عوامل النسيان .

أما مسائل النحو التخصصى فإنى لا أغض من قيمتها جملة وتفصيلا ، ولا أحقر الجهود التى تصدت لها منذ نشأة النحو العربى ، وهى — بدون شك — لا ترتفع فى صعوبتها إلى مستوى الصعوبات التى يلاقيها من يعانون المواد العسرة ، كاللاتينية القديمة ، أو التجارب العلمية الدقيقة ، التى تحبس العلماء سنين ، بين أدخنة المعامل وغازاتها ؛ بغية الوصول إلى كشف عنصر ، أو دراسة خلية .

وها نحن أولاء فى هذا المقام ، لا ندعو كل الدارسين إلى أن يثقفوا مسائل النحو

وظيفية وتخصصية ، بل ندع النحو التخصصى لمن شأنهم التخصص ، وهم قلة قليلة ، ولا غنى لنا عنهم ، على أية حال .

أما جمهرة الدارسين للعربية ، ممن يعتزون بها ، ويرون فيها أهم المقومات لعروبتهم وشخصيتهم ، وأهم العوامل على نجاحهم ، وأداء واجباتهم — فأولئك ندعوهم لهذا النحو الوظيفى ، الذى نقدم من أجله هذا الكتاب ، وفى هذا القدر من النحو الوظيفى الذى يدرسونه ما يسد حاجتهم من الاستعمال اللغوى الصحيح ، وما يكفى لدفع الحرج عنهم ، وتبرئتهم من العقوق ، وما هو أقسى من العقوق ، هذه كلمة موجزة عن طبيعة النحو .

أما مناهج النحو فى المدارس والكليات فما تخلّت عنها يد التهذيب والتطوير ، وهى — فى جملتها — مناهج وافية ملائمة ، ومن الظلم أن نحملها تبعة الأزمة التى نشكوها ، إلا من بعض الزوايا التى سنشير إليها ، وكذلك الكتب النحوية الحديثة ؛ فقد يسّرت عبارتها ، وعولجت مادتها بطريقة ناجحة ، ذللت صعابها ، وقربت نتائجها ، لكل من يطلع عليها ، وهكذا القول فى طرائق التدريس ، التى أخذ بها المدرسون ، ودرسوا أصولها التربوية والنفسية فى فترات إعدادهم ، وفيما يمدون به دائماً من نشرات وتوجيهات .

ولكن لا يسعنى أن أتغاضى عن ظاهرة بدت فى الخطط والمناهج والكتب الدراسية فى السنين الأخيرة ، وكانت — فى نظرى — من أهم العوامل التى خلقت أزمة النحو العربى ، تلك الظاهرة هى أن حصص النحو قد نقص عددها مع الزمن فى المراحل التعليمية المختلفة ، وأن مناهج اللغة العربية وامتحاناتها قد قبضت يدها عن العناية بالنحو إلى حدما ، وبسطتها سخية إلى فروع أخرى ، رأت السياسة التعليمية أنها تفوق النحو أهمية ومكانة ، واقترن ذلك — مع الأسف — بصيحات متتالية ، بعثتها — فى اطراد وإلحاح — حناجر الذين يضنون بالولاء للنحو العربى ؛ إما جهلا به ، وإما امتهاناً له .

أراد هؤلاء الصائحون أن يزحزحوا النحو عما يراد له من مكانة وأصالة ، وأن يقدموا عليه فروعاً أخرى ، لها فى أعين الناس بريق واستهواء ، وقد نجحوا فى ذلك بما اصطنعوه من دعايات منمقة ، وحجج زائفة مموهة ، ولا شك أن هذه الصيحات

التى كانت تنشط فى فترات تغيير المناهج قد انعكست آثارها الهدامة على الدراسات النحوية ؛ حتى تداعى النحو ، واستسلم للانهيار .

ونحن لا نشك مطلقاً فى فائدة أى لون من ألوان الدراسة العربية ، بل نرى أن يؤخذ الطلاب — على قدر استعدادهم — بما يستطيعونه من هذه الألوان ، ولكن لا ينبغى أن ننسى أن النحو فى طليعة هذه الألوان جميعاً ؛ لأنه متصل ببناء الجملة السليمة ، ولا مراء فى أن سلامة الكلمة والجملة أساس يجب أن يسبق كل ما يتصل بهما من بحوث فى الجمال أو الخيال ، أو التأريخ أو التطوير ، شأنهما فى ذلك شأن أى بناء ، لا ينظر فى تجميله إلا بعد الاطمئنان إلى إقامته مدعوم الأساس ، سليم التركيب .

أضيف إلى ذلك أن كتب النحو المدرسية ، قد حرصت — تلبية للمواصفات المقررة — على أن تقدم بين يدى كل باب جديد قطعة مطولة ، على المدرس أن يعالجها مع التلاميذ قراءة وفهماً ومناقشة ، قبل أن يتخذ منها أمثلة لدراسة هذا الباب الجديد ؛ وقد أدى ذلك إلى أن تتحمل حصص النحو — وقد تحيّفها المشرعون — أعباء جديدة ، شغلت المدرس والتلاميذ عن الهدف الأصلى للدرس ، وهو فهم القاعدة الجديدة ، والتطبيق عليها تطبيقاً كافياً ؛ وحسبك أن تلقى نظرة على باب فى النحو ، بأحد الكتب المدرسية ، وترى ما صنع المؤلف ، لتأخذك الشفقة على المدرس والتلاميذ جميعاً ، ولتخلص إلى النتيجة الماثلة الآن . وهى أن النحو لا يلقى من التدريب العملى ما يحقق الغاية منه . وهيهات أن تنجح دراسة النحو دون تطبيق .

وليت حرمان التلميذ ما ينبغى أن يؤخذ به من التطبيق المستمر ، كان مقصوراً على حصة القواعد ، بل إن هذا الحرمان يمتد إلى كل الفرص التى تتيح التعويض عن هذا الحرمان ، فقلّ من المدرسين من يقتطع من حصص القواعد حصة كاملة ، يخصصها للتطبيق الشفوى على القواعد التى استرسل فى عرضها ؛ تذكيراً بها ، وتدريباً على استعمالها ، وكذلك صار من المحظور — تربويا — أن يتعرض المدرسون للتدريب النحوى فى أثناء حصص القراءة ، أو النصوص ، أو التعبير الشفوى ، إذا دعت الحاجة ، وكثيراً ما تدعو .

وليست القواعد النحوية مجرد معلومات تفهم وتضاف إلى الذخيرة الذهنية من ألوان المعرفة ، ولكنها وسيلة إلى غاية ، هى وسيلة إلى استقامة اللسان على أساليب معينة ، وأنماط من النطق خاصة . فإذا لم تؤخذ هذه الوسيلة مأخذ التدريب المتصل ، والممارسة المتكررة ، فلن يستقيم اللسان ، ولن تجد هذه القوالب التعبيرية سبيلها إلى النطق ، ومن ثم لا يكون للنحو أى مظهر من مظاهر الحياة .

ومثل القواعد النحوية دون تطبيق كمثل محاضرات يلقيها متخصص على ناشئين يتعلمون السباحة ، يلقيها عليهم ، وهو واقف معهم على رمال الشاطئ ، فقد يلم هؤلاء الناشئون إلماماً نظرياً بمهارات السباحة وحركاتها ، ولكنهم لن يعرفوا السباحة حقاً إلا إذا ألقى بهم فى التيار ، وأحرزوا النجاح مرة ، وتعرضوا للإخفاق أخرى ؛ حتى يتسنى لأجسامهم — بطول الممارسة — أن تشق الماء ، وتنساب بين أمواجه .

هذه هى أعراض مشكلة النحو العربى ، وبعض أسبابها ، أما نتائجها فيكفى أن أشير إلى أن الكلمة العربية المكتوبة ، التى صيغت على الأصول النحوية ، وبرئت من الخطأ النحوى ، تكاد تنحصر الآن فى آثار المؤلفين . وكتابة الصحفيين ، ولغة البيانات الرسمية ، فإذا تجاوزنا هذه الميادين الثلاثة إلى لغة الأحاديث والبيانات والمناقشات التى تدور فى الندوات والاجتماعات ، بين صفوة المثقفين ، وجدنا النحو قد أصابته جراح كثيرة من معاول اللغة العامية التى تسود كلام هؤلاء المتحدثين من جهة ، ومن إهدارهم الأصول النحوية من جهات كثيرة ، فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى لغة المحاضرات فى الجامعات ، ولغة التدريس فى المدارس ، رأينا النحو قد عمقت جراحه ، وعلا صياحه ، أما ما وراء ذلك من كتابات التلاميذ ومن على شاكلتهم من العاملين فى قطاعات الوظائف المختلفة فقل : على النحو السلام ، واطلب له الرحمة من الرحمن ؛ فقد انتحر انتحاراً .

بعد هذه الإشارة إلى بعض ما نعتقده من مظاهر مشكلة النحو العربى ، وأسبابها ، ونتائجها ، كان لابد لنا من البحث عن طريقة لعلاجها ، وحين نلتمس هذا العلاج المنشود لا نطلبه مدفوعين بأى دافع من التعصب والهوى ، ولا ننشط له ، على حين أن غيرنا يعتقد أنه غنى عنه ، زاهد فيه ؛ فالواقع أن كثيراً من صفوة مثقفينا ممن لا يشتغلون بتدريس اللغة العربية ، ولكنهم ممن يفيضون حماسة للغتهم

القومية ، واعتزازاً بها ، وغيرة عليها ، وإدراكاً واعياً لمزاياها ، وتصوراً رشيداً لما ينبغى أن يهيأ لها من مكانة وتقدير — هؤلاء المثقفون قد راقبوا ما أصاب لساننا من العوج والانحراف ، فهالهم الأمر ، ونادوا من وقت لآخر بضرورة العناية بالنحو العربى ، وضمنوا كتاباتهم فى المناسبات المختلفة ، آراءهم الجادة المستنيرة ، التى يقترحونها لعلاج هذه الظاهرة اللغوية ، وإذن فهناك شعور قومى عام بالحاجة إلى عمل جدّى ، وإلى علاج حاسم ، ينبغى أن يبادر إليه فى هذا الميدان اللغوى .

وإن ما أسلفناه من القول فى تصوير مظاهر هذه المشكلة وأسبابها ونتائجها ، يكاد ينطق بأن العلاج إنما يلتمس فى وجوب العناية بالتدريبات النحوية ، يؤخذ بها الطلاب أخذاً جديا مستمرًّا ، فى جميع المواقف التى تستعمل فيها اللغة ، فالمثال الذى تقرر به قاعدة نحوية يجب بها أن يكون بجانبه عشرات من الأمثلة للتدريب على هذه القاعدة ، والتلميذ الذى يصوغ قاعدة يجب أن يؤيد كلامه بالتطبيق العملى عشرات من التلاميذ ، وفى مواقف الحديث أو التحرير ، ومعارض النشاط اللغوى فى الإذاعة والصحافة والتمثيل ، والجماعات الأدبية والدينية والاجتماعية — فى كل ذلك ونحوه يجب أن تكون الأصول النحوية هى دعامة النطق ، وضابط التعبير ، وأن يكون التزام هذه الأصول هو مقياس المفاضلة والنقد والتشجيع بين الدارسين ، وينبغى — كذلك — أن تتغير النظرة إلى النحو العربى ، وأن يبدو أثر هذا فى الامتحانات الشفوية والكتابية ، من حيث تحديد الدرجات المعدة له ، وأسس تقدير الدرجات التى يناها التلميذ فى الإجابة عنه .

ورب قائل يقول : إن ما تدعو إليه من التماس العلاج فى كثرة التدريبات ليس أمراً جديداً ؛ فهذه التدريبات تملأ كتب النحو ، فى أسئلة منوعة ، وصور ابتكارية مختلفة ، ولكنى أدفع هذا بأننى لا أقدح فى هذه التدريبات ، ولا أغض من شأنها ، ولكن ما السبيل إليها ، وقد تبدد الوقت المخصص لها فى أمور بعيدة عنها ؟ إنها كلام مطبوع على الأوراق ، لا يجد السبيل إلى إخراجه فى صور تعبيرية عملية على ألسنة التلاميذ ، وما كانت هذه التدريبات لتطبع على الأوراق ، ثم يحال بينها وبين الانطباع على اللسان ، ومن ناحية أخرى نرى هذه التدريبات

تساق بعد كل باب من أبواب النحو ، وقد رتبت هذه الأبواب ترتيباً منهجيًّا خاصًّا ، ينأى كثيراً عما نؤمن به فى نظام التبويب النحوى ، الذى يليق ببعض فترات الدراسة والمراجعة ؛ لأن التبويب المعهود فى الكتب القديمة ، والكتب المدرسية ، سنشير فى حديثنا إلى أنه كان من أسباب ضعف الطلاب ؛ لما فيه من الخلط بين المسائل المتباينة حيناً ، أو تمزيق المسائل المتحدة فى عدة مواطن حيناً آخر ، إلى غير ذلك مما سنوضحه .

ومن مظاهر الإهمال للتدريبات النحوية فى المجال الدراسى أيضاً ، أننا نرى معارض الكتابة ، ومواقف الحديث قد تحررت — فى تحد وإصرار — من هذه الأصول النحوية ، وتمردت عليها ، وانطلق القلم واللسان كلاهما يعبران أى تعبير ، دون ضابط نحوى ، أو رعاية لقوانين صياغة الكلام ؛ فليس من المغالاة إذن أن نقول : إن المشكلة من جميع أقطارها تكمن فى عدم التدريبات ، وإن العلاج الحاسم إنما هو تعاطى التدريبات .

على هذا الأساس ، وفى ضوء الإيمان الوثيق بحاجة الدارسين إلى التدريبات فكرت فى إخراج هذا الكتاب على فلسفة معينة ، تلتقى فيها فكرة النحو الوظيفى وحدوده وأهدافه بفكرة التبويب الجديد لمعالم هذا النحو الوظيفى ، وأستطيع أن أجمل أسس هذا الفلسفة فيما يأتى :

١ — أول ما أحرص على بيانه من هذه الأسس أن الكتاب يفترض أن قارئه ليس من المبتدئين الشادين فى تعلم النحو ، بل ممن اجتازوا المرحلة الأولى فى تعلمه ، ومروا بمبادئه الأساسية ، ولكن هذه المبادئ قد اختلطت فى أذهانهم ، وذاب بعضها فى بعض ، وطغى بعضها على بعض ، ولم تجد الفرص الكافية لتجليتها واستعمالها استعمالا سليماً ؛ فبدا هؤلاء المتعلمون وكأنهم لم يتعلموا من النحو شيئاً ، وهذا الكتاب يتجه إلى إحياء هذه المبادئ والتذكير بها ، والتدريب عليها ؛ لتؤتى ثمارها المرجوة .

٢ — ولما كان الخطأ فى ضبط الكلمات هو أبرز مظاهر هذه المشكلة ، وأن المرفوع ينصب أو يجر ، والمنصوب يرفع أو يجزم ، ونحو ذلك من الأخطاء ،

ركز الكتاب عنايته فى حصر المواضع الإعرابية للكلمات العربية التى يتغير ضبطها بتغير التراكيب ، وهى ما تسمى فى النحو بالمعربات ، ومما يطمئن النفس ، ويحفز العزيمة أن هذه المعربات لا تتجاوز ستة أنواع ، هى الاسم رفعاً ونصباً وجرا ، والفعل المضارع رفعاً ونصباً وجزماً . ومن اليسير أن تحدد المواقع الإعرابية لكل نوع من هذه الأنواع الستة فى صورها المقررة ؛ وبذا يسهل تناولها والتدريب عليها ، أما الكلمات العربية التى لا يتغير ضبطها ، والتى تسمى بالمبنيات فهى بعض الأسماء ، وبقية الأفعال ، وجميع الحروف ، والأمر فى هذه المبنيات هين ، وليس فى النطق بها أية مشكلة ؛ لأن لها صورة واحدة .

ومن هنا رأيت أن أعرض فى مدخل هذا الكتاب تخطيطاً عاما يلخص معالم النحو على هذه الصورة التى أشرت إليها .

٣ — وينبنى على هذا الاتجاه أن الكتاب لن يسير فى تبويب المسائل على النهج المتبع فى كتب النحو قديمها وحديثها ؛ لأن هذه الكتب قد تتناول شيئاً من المبنيات خلال المعربات ، وقد تعرض باباً فى الفعل بين أبواب الأسماء ، وقد تتحدث عن أحد المنصوبات قبل أن تستوفى المرفوعات ، وقد تقحم مسألة من الصرف بين موضوعات النحو ، وزيادة على ذلك نرى أن هذا التبويب المتبع يفرّق الموضوع الإعرابى الواحد فى عدة أبواب ، قد يدرس الطالب بعضها فى المرحلة الابتدائية ، وبعضها فى المرحلة الإعدادية ، وبعضها فى المرحلة الثانوية ، وبعضها فى الجامعة ، وربما كان هذا النظام المتبع فى المناهج والكتب قائماً على أسس تربوية ، تتصل بعامل التدرج والنمو ، ولكن هذا النهج من الدراسة يظل ناقصاً قاصراً حتى يعززه نهج آخر من الدراسة ، يتجه إلى تجميع هذه الصور المفرقة ، وردها إلى نوعها الأصلى ، على أن يكون هذا اللون الدراسى أمراً منهجيا ، يعالج فى دروس النحو ، وفى كتب النحو أيضاً .

وعلى سبيل المثال أذكر « المفعول به » إنه يطلّ على الدارس فى نحو ثمانية عشر باباً من أبواب النحو ، وفى كل مرحلة من المراحل التعليمية الأربع يُدرس شىء من هذه الأبواب الثمانية عشر ، وهذه الأبواب هى : المفعول به — نائب الفاعل — الأفعال التى تنصب مفعولين — المستثنى — المصدر المؤول من أنْ والفعل ، المصدر

المؤول من أنّ واسمها وخبرها — أسماء الأفعال — التعجب — أحرف الجر الزائدة — الإغراء — التحذير — الاختصاص — الاشتغال — التنازع — عمل المصدر — عمل اسم الفاعل — عمل صيغ المبالغة — عمل الصفة المشبهة .

وحينما يؤخذ الطالب بنوع جديد من هذه الأبواب يصرف اهتمامه إلى ما فيه من مصطلح جديد ، مثل كلمة تعجب أو إغراء أو تحذير ، وينسى أن النطق الصحيح لبعض الكلمات فى أمثلة هذا الباب الجديد إنما هو نصب الكلمة ؛ لأنها مفعول به ، ومن هنا يتبدد انتباهه إلى هذه الناحية الإعرابية ، وكأنه يظن أن المفعول به قد مرّ ذكره منذ سنين ، حينما كان تلميذا صغيراً بالمرحلة الابتدائية ، وها هو ذا اليوم فى مرحلة أرقى ، يدرس فيها شيئاً آخر ، اسمه التعجب ، أو الإغراء ، أو التحذير ، فما خطة كتابنا فى تلك الأبواب الثمانية عشر ؟ إنه عرض أمثلة لها جميعاً تحت عنوان واحد ، هو « من صور المفعول به » . ما دامت هذه الأمثلة متحدة فى الضبط والإعراب ؛ حتى لا تطغى فى ذهن الطالب المصطلحات الجانبية على النواحى الإعرابية ، التى هى أساس النحو الوظيفى .

هذا مثال للطريقة التى آثرناها فى تبويب هذا الكتاب وهى تقوم على جمع المتفرقات فى موطن واحد ، إذا اتحدت حالتها الإعرابية ، ومن الواضح أن فى هذه الطريقة اختصاراً كبيراً ، وتيسيراً بيّناً ، زيادة على ما فيها من الربط والتجميع ، وهما من الأهداف التربوية .

٤ — لا ندعى أن هذا الكتاب قد استقصى المسائل النحوية ، أو الصور المتعددة للمسألة الواحدة ، بحيث يعتبر مرجعاً شاملا ، ولكنه عالج الأساليب فى صورها المشهورة واليسيرة ، واقتصر على هذا المشهور وهذا اليسير فى إطار تطبيقى .

٥ — ومن أهم الأسس التى قام عليها هذا الكتاب العناية المزيدة بالتدريبات ، فلم يعمد إلى شرح قاعدة إلا فى حالات قليلة ، وبطريقة موجزة ، بقدر ما يكفى للاستعادة والتذكر ، أما هدفه الأصلى فإنما هو التدريبات ، موفورة الكم ، منوعة الاتجاه ، تساير نهجه فى التبويب ، وقد عرضت هذه التدريبات فى ثلاث صور

متدرجة : الأولى أمثلة مشروحة للتذكر والدراسة ، والثانية أسئلة شاملة منوعة مقترنة بإجاباتها ، والثالثة أسئلة على النمط السابق ، ترك للطالب التفكير فيها ، والإجابة عنها ، وعند اكتمال وحدة معينة من وحدات الكتاب تساق طائفة كبيرة من التمرينات ، تشمل هذه الوحدة جميعها ، وهدفنا من هذا النهج تمكين الطالب من أن يعود إلى هذا الكتاب ، وينتفع به مستقلا ، أو مشتركاً مع زملائه . إذا أعوزه الأستاذ المرشد فى بعض الأحوال .

٦ — حرصنا ما استطعنا على أن تدور هذه التدريبات فى أمثلة وشواهد من الأدب الرفيع ، وأن نتجنب الجمل المتكلفة ، والعبارات المصنوعة ، التى يعوزها جمال التعبير ، أو شرف المعنى ؛ حتى تزيد فائدة القارئ ، وتتاح له فرص الاستمتاع الأدبى ، بجانب ما يجنيه من الفوائد النحوية .

ويكفى أن نذكر أن فى الكتاب نحو : (٨٣٠) نصًّا من القرآن الكريم ، ميزت بوضعها بين أقواس ، ونحو : (٥٠) من الأحاديث النبوية ، ونحو : (١٢٠) نصا من كلام البلغاء ، ونحو : (١٠٠٠) بيت من الشعر القديم والحديث ، وبجانب هذا نحو : (٢٤٥٠) مثالا من العبارات والتراكيب التى أنشئت لشرح أسلوب ، أو للتطبيق على قاعدة ، وهذه الكثرة الكاثرة من التدريبات هى أهم الوسائل التى نؤمن بجدواها فى تحقيق الغاية المرسومة ، وهى طبع الألسنة على النطق المعرب الصحيح ، ولولا خشية تضخم الكتاب ما رأينا مانعاً من مضاعفة هذه التدريبات ؛ إيماناً منا بأنها الوسيلة المجدية لاجتناء ثمار النحو ، وحسبنا الآن أن يؤمن المدرسون بهذه النظرية ، وأن يزيدوا فرص هذا التدريب ، ويضاعفوا مادته للطلاب ، منطلقين على هذا الطريق الممهد المرسوم .

٧ — عرضت الأمثلة المشروحة ، وكثير من أسئلة التدريبات وإجاباتها فى جداول . ومع أننا لا نقر — تربويا — استعمال الجداول فى شرح القواعد النحوية ، نرى أن هذا الحظر إنما يكون فى الدروس التى تعالج فيها قاعدة نحوية لأول مرة ، أما فى مواقف التدريب فربما كانت الجداول مساعدة على سرعة التناول ، وسهولة الإدراك ، وتصور أوجه التشابه . ومظاهر التنوع بين الأساليب فى يسر وتشويق .

٨ — يلاحظ الكتاب حين يعرض لبعض الأساليب العربية أن هناك فى الاستعمالات العامة أخطاء شائعة ، تشذ عن القواعد النحوية ، فينبه الكتاب على هذه الأخطاء ، ويبين ما فيها من أوجه الخطأ ، ويصوب هذا الخطأ ، وهذا مما يدخل فى دائرة النحو الوظيفى .

٩ — مجال هذا الكتاب إنما هو النحو الوظيفى ، كما يوحى به عنوانه ، ولكن قد يلاحظ القارئ أننا تجاوزنا حدود النحو الوظيفى بما عرضنا له فى أبواب المبنيات ، وفى الأدوات التى لها أكثر من استعمال ، وكذلك فى الفصول التى عقدناها لتعدد الأوجه الإعرابية ، وللأساليب التى يدق إعرابها ، ونحو ذلك مما يستغنى عنه طالب النحو الوظيفى .

إننا — حين عرضنا لهذه الزيادات — قد افترضنا أن هذا الكتاب لم يؤلف لمرحلة تعليمية معينة ، وقد يقتنيه الطالب فى أية مرحلة ، وربما كان هذا الطالب ممن يدرسون النحو فى شىء من التوسع والإحاطة ، فكانت هذه الزيادات لسد حاجة هذا الطالب وغيره ، ممن تتسع رغباتهم فى الدراسة النحوية ، على أن تلك الزيادات لم تنتقص شيئاً من الجانب الوظيفى ، ولم تتخلل مسائله فتؤثر فى ترابطها وتسلسلها ، وإنما عرضت مستقلة فى أبواب خاصة متأخرة ، يستطيع أن يتجاوزها من لا يرى نفسه فى حاجة إليها .

١٠ — هذا النهج الذى اتبعناه فى تبويب الكتاب على هذه الصورة الجديدة ، وهذا الاتجاه المميز بكثرة التدريبات — كانا دعامتى تجربة عملية ، أتيح لى أن أقوم بها فى إحدى الكليات الجامعية ، التى يدرس طلابها النحو دراسة تخصصية ، وقد مارست هذه التجربة الدراسية مع هؤلاء الطلاب فى عام دراسى كامل ، وليس من التزيد أن أنوه — مطمئناً — بأن الطلاب قد لمسوا آثارها الطيبة ، فى تبديد ما كان يملأ عقولهم من القلق والانزعاج ، حينما يذكر أمامهم النحو ، وما يتصل به من إعراب . كما لمست أنا أيضاً تقدم الطلاب ، واطراد فائدتهم من هذه الدراسة .

* * *

وبعد ، فليس هذا الكتاب مما يضيف إلى المكتبة النحوية مرجعاً فريداً ، أو كشفاً مبتكراً ، وإنما هو — أولا وأخيراً — مشروع تجربة عملية ، تحاول تطويع النحو العربى للسان المتكلمين بالعربية ، واستقامة هذا اللسان على صحة النطق ، وسلامة الأداء وفق أصول النحو وقوانينه .

إنه — إذن — ليس بديلا من كتب النحو ، وإنما هو مكمل لها ، يشغل من فراغها الجانب التطبيقى ، الجانب الوظيفى . . . . وبالله التوفيق .

المؤلف

القاهرة فى المحرم — ١٣٨٩ هـ
مارس — ١٩٦٩ م

مدخل

نعرض فى هذا المدخل تخطيطاً عامًّا لأهم المعالم النحوية ، التى سيعالجها هذا الكتاب ؛ ليكون هذا التخطيط بمثابة دليل يهدى القارئ إلى المراحل المختلفة التى يسلكها ؛ والمنهج الذى يقوم عليه تبويب هذا الكتاب ، وتحدد فى ضوئه غاياته .

وقد رأينا أن نعرض هذا التخطيط فى جدول ينتظم معالم النحو ، فى صورة جديدة ، وتبويب خاص ، يخالف المعهود فى كتب النحو قديمها وحديثها ، من حيث ترتيب الموضوعات وتسلسلها ، وإن لم يخرج — فى جملته — عما رسم النحاة الأقدمون .

ويستطيع القارئ — إذا ألقى نظرة على هذا الجدول التلخيصى — أن يدرك أن هذا النحو العربى الذى يهول كثيراً من الناس ويروعهم ؛ فيقفون منه موقف الحيرة والضجر ، ويظنون أنهم أمام بحر خضم ، لا سبيل إلى اجتيازه — قد أمكن جمع أبوابه المتفرقة ، وضم مسائله المتعددة ، فى بضعة عناوين شاملة ، تحكم نظامه ، وتنسق معالمه ، وتطوّعه للدراسة والفهم ، فى يسر وأمن واطمئنان .

ويستطيع القارئ — كذلك — أن يجتلى فى هذا الجدول التخطيطى سمات الخطة التى سنسير عليها فى هذا الكتاب ، وأن يتبين السبل التى سنسلكها لتحقيق غاياته المنشودة .

ولعل من المستحسن أن يردد القارئ النظر إلى هذا الجدول ، فيعود إليه كلما قطع شوطاً ، أو أشرف على عنوان جديد ؛ ليتبين أين هو ؟ وما مكانه من هذا المنهج المرسوم ؟

هذا وقد أشرنا فى مقدمة الكتاب إلى نواحى هامة تتصل بالغاية من هذا المدخل ، فى التهيئة والتمهيد ، فيحسن الرجوع إليها .

وفيما يلى صورة هذا الجدول التخطيطى :

جدول تلخيص معالم النحو

أولا : المعرب

الاسم			الفعل		
المرفوع	المنصوب	المجرور	المرفوع	المنصوب	المجزوم
١ ــ الفاعل ٢ ــ نائب الفاعل ٣ ــ المبتدأ ٤ ــ الخبر ٥ ــ اسم كان وأخواتها ٦ ــ خبر إن وأخواتها ٧ ــ نعت المرفوع ٨ ــ توكيد المرفوع ٩ ــ المعطوف على المرفوع ١٠ ــ البدل من المرفوع	١ ــ اسم إن وأخواتها ٢ ــ خبر كان وأخواتها ٣ ــ المفعول به ٤ ــ المفعول المطلق ٥ ــ المفعول لأجله ٦ ــ المفعول معه ٧ ــ الظرف ٨ ــ الحال ٩ ــ التمييز ١٠ ــ المستثنى ١١ ــ المنادى (بعض الأنواع) ١٢ ــ نعت المنصوب ١٣ ــ توكيد المنصوب ١٤ ــ المعطوف على المنصوب ١٥ ــ البدل من المنصوب	١ ــ المسبوق بحرف جر ٢ ــ المضاف إليه ٣ ــ نعت المجرور ٤ ــ توكيد « ٥ ــ المعطوف على المجرور ٦ ــ البدل من المجرور	الفعل المضارع الذى لم يسبقه ناصب ولا جازم	الفعل المضارع الذى سبقه ناصب	الفعل المضارع الذى سبقه جازم

ثانياً : المبنى

الاسم : الضمائر ــ أسماء الإشارة (ما عدا صيغة المثنى) ــ الأسماء الموصولة (ماعدا صيغة المثنى وأىّ فى بعض الصور) أسماء الاستفهام (ما عدا أى) ــ أسماء الشرط (ما عدا أى) ــ بعض الظروف ــ المركب من الحال والعدد (ما عدا اثنى عشر واثنتى عشرة) ــ أسماء الأفعال ــ المبهمات المقطوعة عن الإضافة لفظاً ــ بعض أنواع أخرى .

الفعل : الفعل الماضى ــ فعل الأمر ــ الفعل المضارع المتصلة به نون التوكيد ، أو نون النسوة.

الحرف : جميع الحروف.

ثالثاً : علامات الإعراب

حالة الإعراب	العلامة	فى الأسماء	الإعراب
الرفع	الضمة	الاسم المفرد ـ جمع التكسير ـ جمع المؤنث السالم	المضارع من غير الأفعال الخمسة
	الألف	المثنى	
	الواو	الأسماء الخمسة ـ جمع المذكر السالم	المضارع من الأفعال الخمسة
	ثبوت النون		
النصب	الفتحة	الاسم المفرد ـ جمع التكسير	المضارع من غير الأفعال الخمسة
	الكسرة	جمع المؤنث السالم	
	الألف	الأسماء الخمسة	
	الياء	المثنى ـ جمع المذكر السالم	المضارع من الأفعال الخمسة
	حذف النون		
الجر	الكسرة	الاسم المفرد المصروف ـ جمع التكسير المصروف ـ جمع المؤنث السالم	
	الفتحة	الممنوع من الصرف	
	الياء	الأسماء الخمسة ـ المثنى ـ جمع المذكر السالم	
الجزم	السكون		المضارع الصحيح الآخر من غير الأفعال الخمسة
	حذف حرف العلة		المضارع المعتل الآخر من غير الأفعال الخمسة
	حذف النون		المضارع من الأفعال الخمسة

رابعاً : علامات البناء

الضمة والفتحة والسكون ، وكل من هذه الثلاث تدخل الاسم والفعل والحرف ، والكسرة وتدخل الاسم والحرف